H. A. N. I. EL. S A, L. M. Y

سأترك يديك وأمشي وحدي

صدرت في يوم ذوي الهمم العالمي

قصص

هاني السالمي

سأترك يدك وأمشي وحدي

مجموعة قصصية

[ابتسم قليلا وأحارب كثيرا]

[لأني أحبك سأزع لك وردة، وحين أكبر سأكتب لك نصاً]

الكرسي المضيء

جاء موسم قطاف الزيتون، وكان لجدي حقل كبير مزروع به ستين شجرة زيتون، فقد ورثه مِن أبيه قبل ثلاثين سنة، وكان يتخلل أشجار الزيتون زراعات موسمية، مثل البصل والبطاطا والجرجير والثوم والكزبرة، وبعض شجريات من البندورة والأعشاب الخضراء.

كان حقل جدي كبير كأنه قطعة من الجنة وكنا كثير نتفق معه وليحضر أطفال المدرسة برحل مدرسية لنلعب داخل الحقل، المعلمات والأطفال أحبوا الحضور للمكان، واتفقوا مع جدي أن يشاركوه في المساعدة موسم قطاف الزيتون.

شهر واحد يفصلنا عن موسم القطاف، كل أطفال المدرس كانوا متلهفين للمشاركة في هذا اليوم، الذي يعتبر تراث فلسطيني، ولأن شجرة الزيتون شجرة مهمة في حياة كل فلسطيني.

وفي يوم محدد اتفقنا للذهاب إلى حقل الزيتون، جاءت أكثر من خمسين طالب وطالبة ليشاركوا معنا القطاف، وكان من بين المشاركين صديقنا نرجس التي جاء مع أختها الكبيرة، حيث أن نرجس تجلس على كرسي متحرك.

نرجس بسبب خطأ طبي في الولادة انكسر عمودها الفقري، فكبرت بهذه المشكلة، لكنها كانت فتاه محبوبة والكل يحترمها، والعائلة وأصدقاء الحي وإدارة المدرسة عملوا بجهد لتوفير كل الإمكانيات لدخول نرجس المدرسة، وجهز لها مقعداً خاص واشتروا لها كرسي متحرك قوي.

الكل رحب بنرجس وساعدها لتصعد معنا الحافلة، وجميع الطلاب كانوا مبتسمين لأن نرجس تريد مشاركتهم في هذه الرحلة.

وصلنا أرض الزيتون، فانطلق الأطفال لقطاف حبات الزيتون وصعدوا على الأشجار وبعضهم مسك العصى الطويلة وصار يهش على حبات الزيتون لتتساقط على قطع من البلاستيك المفروش على التراب.

لكن نرجس كان تجلس وحدها ولم تشارك، لاحظ جدي أن نرجس لم تشاركهم، فنادي بصوت عالي على الطلاب وقال لهم علينا أن نشارك صديقتنا بهذا اليوم الجميل،

فاقترح أن نحمل بعض أكياس الزيتون من آخر الحقل على الكرسي المتحرك الخاص لنرجس وتحضره إلى مكان الذي يجمع به حبات الزيتون.

ابتسمت لهذه الفكرة وصارت تحمل الاكياس في حضنها وتدفع كرسيها المتحرك بما تحمله إلى المكان المحدد، وصار الجميل يشجعها على العمل.

جدّي بعد العمل من الساعات نادى عليها وقال لها: هيا لتساعديني في إعداد الطعام، فذهبت وقطفت الطماطم والخضروات لتصنع صحناً كبيراً من سلطة الخضار وساعدته في إعداد إبريق شاي كبير على نار الحطب، الجميع فرح بما قدمته من عمل رائع في موسم القطاف.

وفي اليوم التالي قررت إدارة المدرسة تكريم الجميع على الجهد الجميل الذي قدموه في موسم القطاف وحضر الحفل جديّ وقدم قنينة زيت زيتون كبيرة وكيس كبير من الزيتون لمطعم المدرسة.

صوتي من ذهب

جنى تحب أن تشارك في الإذاعة المدرسية الصباحية كل يوم، إما بالغناء والإنشاد أو تسرد قصص بها عبر وحكايات، فهي كانت تملك صوتا عذبا، كانت تصدح بصوتها بالغناء وتغني النشيد الوطني وكل المدرسة يحب سماع صوتها.

خرجت جني في الصباح في يوم من الأيام لتذهب للمدرسة، كان الجو ضبابي والرؤية معدومة، ولابد أن تقطع الطريق السريع لتصل للمدرسة، كان عليها أن تكون حذرة وهي تقطع الشارع لأن المركبات تكون به سريعة.

لم تتبه جنى وقتها وهي تقطع الشارع فصطدمتها سيارة كبيرة، وترك لها إصابات كبيرة في جسدها، وصل الخبر إلى صديقاتها في المدرسة فانصدم الجميع بهذا الخبر وخيم الحزن على الجميع.

مكثت في المشفى أكثر من ستة شهور متواصلة وأجرت عمليات كثيرة في قدمها من الكسور وبعض عمليات تجميل بسبب الجروح في الوجه.

فاتفقت صديقتها مع إدارة المدرسة أن تزور جنى بالمشفى وتعطيها كل الدروس وفي وقت الامتحانات عملت إدارة المدرسة كل جهدها مع صديقاتها لتقدم جنى الامتحانات، وحصلت على درجات جيدة.

وبعد أن خرجت من المشفى رفضت ياسمين الذهاب إلى المدرس لأنها شعرت بالخجل.

لكن كل يوم كانت زميلاتها تزورها، وتخفف عنها التعب، وبعد مفاوضات صعبة وافقت أن تعود إلى المدرسة، وجاءت تمشي على عكازين وتمشي ببطيء شديد.

وحين دخلت من باب المدرسة استقبلتها زميلاتها بالورود والابتسامة، وإحدى زميلاتها حضرت لها ميكرفون الإذاعة وطلبت منها أن تغني، ترددت في أول الأمر، لكن أصر الجميع عليها بالغناء، فغنت (موطني، موطني، الجلال والبهاء في علاه)

لغة جديدة

كانت الحرب على قطاع غزة عنيفة وصعبة والناس أصيبوا بالرعب من صوت الطائرات والصواريخ التي كانت تسقط في كل مكان، وكانت الشوارع فارغة من الناس والجميع يجلسون في بيوتهم ويراقبون الراديو ويتابعون الأخبار العاجلة والكهرباء تبقى ساعات مقطوعة عن كل المناطق.

أنا وعائلتي جلسنا في البيت أيام طويلة ولم نخرج ولو خطوة واحدة خارج البيت، فشعرت بالملل والزهق، وطلبت من أبي أن أذهب إلى الدكان القريب من بيتنا لأشتري السكاكر والحلوى.

وقبل أن أصل إلى الدكان سمعت صوت قوى رهيب هز المكان ومن قوته شعرت بجسدي يطير في السماء وأرتطم بالأرض بقوة

ودخلت في غيبوبة طويلة لم أعي من حولي وقضيت وقت طويلا في المشفى.

وبعد فترة استيقظت من الغيبوبة فوجدت أمي وأبي وأخوتي حولي أمام السرير الذي أنام عليه في المشفى.

صارت أمي تحرك بشفاها لتكلمني، لكني لم أسمع شيء، قلت لها: أمي أرفعي صوتك لماذا تتكلمي بصوت منخفض أنا لا أسمعك.

وقتها صارت أمي وأبي واخوتي يبكون، فهمت وقتها أني فقدت السمع ولا أقدر على سماع أي أحد.

دخلت في عدة عمليات في أذني وكان صعب علي أن أسمع من جديد، وأخبر الطبيب عائلتي أني سوف أعاني من فقدان السمع والنطق طويلا، لكن مع العلاج يمكن الشفاء.

الآن وضعي الصحي والنفسي صعب، لكن الأشياء الجميلة تأتي بالصدفة، فكانت لنا جارة تعمل في مركز فني للسمعيات فجاءت لزيارتي، واتفقت معي أن تعلمي لغة الإشارة، وهذه اللغة بها يمكن أن تتواصلي مع حولك بسهولة وتفهميهم.

وافقت على ذلك وتعلمت كل الحروف والأرقام بلغة الإشارة وصرت أعلم من حولي كيف يتكلمون معي، وكان الجميع متعاون.

وذهبت إلى المدرسة وصرت أقرأ الدروس وأحاول أن أكلم من حولي بلغة الإشارة، وبعد مدة طويلة استعطت أن أضع سماعة في أذني.

وصرت أسمع بشكل ضعيف لكن أفضل من لا شيء، ولدي معرفة رغم صغري بلغة الإشارة، وتعودت عليها وأحببتها لأنها لغة جديدة كانت عليّ

كلمات من السماء

أختي سعاد وهي صغيرة، أصيبت بحمى قوية وصلت حرارتها إلى أكثر من أربعين درجة فوق المعدل الطبيعي، الحمى الشديدة أثرت على بصرها وعيونها، ففقدت تسعين بالمئة من نظرها.

كبرت أختي وهي تعاني من قلة النظر، وكلما كبرت زادت مشكلتها كثيرا، وكانت لا تشاركنا الخروج والمشي خارج البيت.

لأنها كانت تستخدم عصى تساعدها على المشي حتى لا تصدم بالأشياء ولابد أن يكون معها مرافق وقت الخروج.

كان لها مذياع (راديو) خاص تسمع عليه برامجها المفضلة، وهي تقلب على الموجات سمعت شعرا من أشعار محمود درويش، فأحبت الشعر.

في بداية الأمر صارت تسمع كل الشعر وصار تقلد وتحكي ما تقوله بصوت عالي، وصار تحكي شعرا وتؤلف نصوص جميلة.

فاقترحت عليها أن تقول شعرا وأنا أكتب لها ما تقوله، كانت خجلانة في بداية الأمر، لكن في كل مساء مع صوت حبات المطر وصوت الرياح كانت تقول جمل في قمة الروعة.

فأحضرت ورق بيضاء وقلم وصرت أكتب ما تقول

أنا أحب صوت المطر

لأنه يراقصني كفراشة بيضاء في السماء.

يذكرني بصوت الجدة حول موقد النار

وصوت الريح بدخل فرحة في قلبي

كأني أركض بين الزهور

أحب الشتاء لأن عائلتي تتجمع معا

وتحكي أجمل الحكايات

وبعد من انتهاء من كتابة القصيدة حملتها وعرضتها على معلمة اللغة العربية عندنا في المدرسة فأعجب بما كتبته أختي سعاد،

والمعلمة دعت أختي سعاد لمهرجان كبير (يوم الشعر) لتلقي شعراً من تألفها، وحين أنشدت بما كتبت الكل صفق لها بحرارة واحبوا ما تكتب.

ومع مرور الوقت صارت أختي سعاد شاعرة المدرسة وصارت شعرها يردد بين الطلاب

صديقتي الرائعة

في يوم فتحت نافذة الشباك فرأيت أطفال الحي يلعبون ألعاب جميلة وبها حركة وإثارة فحملت جسدي لأشاركهم اللعب وكان أملي أن يوافقوا على مشاركتي، فأنا عندي إعاقة في يدي اليمني، بسبب مسمار صدأ دخل في يدي

كان أطفال الحي يلعبون لعبة كرة الطائرة، ربطوا خيط طويل على عصاوين طويلتين، وجلب أحد أطفال الحي كرة صغيرة وصاروا يلعبون الكرة ويتنافسون، أكثر الفرق تحصل على النقاط تحصل على الإعجاب من حولهم.

وحين وصلت عندهم وطلبت منهم أريد اللعب، بعضهم رفض وبعضم لم يبدي موافقته على مشاركتي، لأنهم اعتقدوا بأني ليس لدي القدرة على اللعب ولم

لكن صديقتي سوسن كانت شجاعة وقوية، وأصرت على مشاركتي معهم باللعب، وتشجعت وصرت ألعب معهم، وحين تأتي الكرة ناحيتي كنت أستخدم يدي اليسرى في ركل الكرة.

اشتدت اللعب فطارت الكرة إلى الأعلى وقفزت عاليا وضربتها بقوة على جهة الفريق المقابل، وحصلت على هدف، ففرح من كان يلعب بفريقي ووقتها فزنا بالمباراة.

صديقتي سوسن عرضت على إدارة المدرسة بأن أكون في فريق كرة الطائرة. بعد عدة محاولات وافق مدرس الألعاب على مشاركتي.

ولعبنا لعبة كبيرة مع المدرسة المجاورة لنا وكنت ألعب في الاحتياط، وإحدى اللاعبات الأساسيات حدث معها ألم كبير في يدها، فشاركت كبديلة مع فريق المدرسة وكانت المباراة قوية، كنت خائفة بأن لا ألعب جيدا، لكن صديقي سوسن جاءت ناحيتي وشجعتني بأن ألعب بكل ثقة وقوة وأنسى خوفي، ولعبت ووقتها فزنا بصعوبة بالمباراة، وكرمتنا المدرسة على هذا الفوز.

صفحات ملونة

يقولون مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة ومشواري بدأ بخطوة صعبة ومرهقة جدا في ظل ظروف معيشية قاسية أكملت الصف الخامس بتفوق وبدأت بالتفكير بكيفية الوصول لمراتب أعلى حاولت البحث عن عمل الي جانب الدراسة. لأساعد أسرتي بالمعيشة حيث كانت أسرتي تعاني من فقر شديد لأن أبي فقد عمله بسبب مرض السكري المزمن، حيث أنه لا يستطيع الوقوف كثيرا.

طبعا كانت لدي صعوبة وهي عدم القدرة على الكلام بطلاقة بسبب التأتأة نتيجة لتعرضي لصعقة كهربائية وأنا في الصف السادس، كنت دائما صامتة لا أتكلم كثيرا حتى لا يضحك على أحد. عمل أبي على فتح دكان صغير لبيع الأحذية، فكنت بعد انتهاء الدراسة كنت أساعده في البيع والشراء لساعات طويلة.

وهذا العمل أثر على درجاتي التي كنت أحصل عليها، ومع مرور الوقت كنت لا أذهب إلى المدرسة، لأن مرض أبي زاد حتى أنه لم يقدر من الحركة.

كنت أقضي ساعات وأيام في العمل، لكن كان حلمي كبير أن أعود للدراسة، وأنا اعمل في الدكان جاءت إحدى المعلمات عليّ وأخبرتني أن هناك مركز طبي يعالج مشاكل النطق.

وذهبت عدة مرات إلى هناك وتعلمت لفظ بعد الحروف بشكل سليم، واقترحت إدارة المدرسة أن تساعد أبي في الحصول على الدواء المجاني لمرض السكري وتحسنت حالته

وعدت للمدرسة وحصل أبي على عمل مريح جدا، وصرت أدرس كثيرا وأجتهد حتى وصلت لمكانة كبيرة.